

(٢)

البروتستانتية الأمريكية : هيمنة الاتجاه المتهود والأصولي

إن الرصد التاريخي لمسيرة البروتستانتية فى الولايات المتحدة الأمريكية يشير ، بما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أمرين :

١- التهود الذى طال الاتجاهات الأصولية ، حيث تم « عبرنة » المسيحية فى أمريكا بسببها ، فبدت « العبرنة » واضحة فى الثقافة السائدة إلى الدرجة التى دفعت الرئيس الأمريكى جيفرسون بتقديم اقتراح إلى الكونجرس مفاده :

« أن يمثل رمز أمريكا على شكل أبناء إسرائيل تقوِّدهم فى النهار غيمة ، وفى الليل عمود من النار » بدلا من النسور .

ويتفق هذا الاقتراح مع النص الوارد فى سفر الخروج والذى يقول :

« وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضيء لهم . لكى يمشوا نهاراً وليلا » (سفر الخروج ١٣ : ٢١) .

وقد أدت هذه الاتجاهات المتهودة إلى صياغة قالب دينى بروتستانتي يهودى قاعدته التوراة ، كان من نتيجته الترويج لمصطلحات مثل :

- التراث المسيحى اليهودى المشترك .

- الأخلاق المسيحية اليهودية .

- الالتزام الأدبى - الأخلاقى بدعم إسرائيل .

ولا شك أن هذه الاتجاهات المتهودة تزداد خطورتها ، عندما نعلم أنها تنتشر بشكل منظم ومؤسساتى ، بحسب يوسف الحسن ، فى عدد من الطوائف البروتستانتية وهى كنائس الطبقة العليا الحاكمة على مدى أكثر من مائتى عام من

عمر أمريكا أو ما اصطلح على تسميتها كنائس « White Anglo-Saxon

« Protestant : WASP »

ويعد تأثيرها كبيراً في صياغة السياسة الأمريكية .

٢- هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية الأمريكية ، على الرغم من وجود اتجاهات ليبرالية بل ويسارية داخلها . إلا أن التيار الأصولي هو الأكثر تأثيراً وتنظيماً والذي يضم في إطاره التيار الصهيوني .

وقد كان لهذا الاتجاه القدرة على حصار الاتجاهات الليبرالية أو التي عرفت باسم « المسيحية الجديدة - New Christianity » ، والتي حاولت أن تواكب النتائج التي ترسبت على التقدم المطرد في مجال التصنيع وما رافقه من تحضر للأمريكيين ، ومواجهة مشاكل التحديث وما تتضمنه من تداعيات اجتماعية وثقافية . فلقد أراد أنصار هذا الاتجاه الاستجابة للمتغيرات والسير بكنائسهم في مسار ليبرالي يتفاعل مع المستجدات بروى عملية وواقعية . إلا أن الأصولية البروتستانتية عند بدء تشكلها كاتجاه له ثقله في الواقع الأمريكي مع بداية القرن العشرين ، واليمين المسيحي الجديد ، الذي يعد تطوراً لها ، قد رفضا بشكل قطعي اجتهادات المسيحية الجديدة ، في عقلنة الحياة الحضرية الحديثة .

لقد دعم القادة الأصوليون مثل أرنو چيبيلين وبيلى صانداى ، الخلاص الفردى والشخصى المنفصل عن الواقع ، وذلك في مواجهة الاتجاه الذى يدعم الخلاص القائم على المشاركة المجتمعية القائمة على ما أسموه بـ « الإنجيل الاجتماعى - Social Gospel » ، الأكثر من ذلك هو رفضهم التوجه المسكونى والانفتاح الدينى ، مؤكداً على واجب كل مسيحي للتبشير بإيمانه باعتباره فى معركة مع الأديان والثقافات الأخرى .

إن اليمين المسيحي فى صورته الجديدة ، هو الامتداد للأصولية البروتستانتية التى ظهرت مع بداية القرن ، ويشتركان معاً فى الأساس النظرى من حيث النظرة إلى العالم والمجتمع والإنسان . فالأصولية المسيحية التى أخذت فى التشكل مع بدايات القرن العشرين وتبلورت فكرياً فى أعقاب نشر سلسلة من ١٢ مجلداً تحت

عنوان « الأصول » تضم تسعين مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة ، أقول الأصولية المسيحية هي التي وضعت التأسيس النظري لدور الله في تطهير الثقافة السائدة وشن الحرب المقدسة ضد الشيطان القابع في قلب الوطن ، وأنهم وحدهم التعبير عن «الإرادة الإلهية- Divine Will» ، وقد أخذ هذا التصور ليشمل السياسة الخارجية الأمريكية في أول الحرب العالمية الأولى - على سبيل المثال - حربًا بين العقلانية الألمانية والمسيحية الأمريكية .

ويأتى اليمين المسيحي ليأخذ طبيعة سياسية تحمل القيم الأصولية الأولى دون تغيير ، ولكنه بدأ يعمل في أن يجعل هذه القيم موضع التنفيذ ، وبحسب رؤية أحد الباحثين لقد طال « التسييس - Politicization » هذا الاتجاه .

وترى النظرة الأصولية ممثلة في أحد أهم روادها المعاصرين - بات روبرتسون - كيف أن أمريكا ستكون في حالة نهوض ودورها مركزياً عندما تستعيد « تراثها اليهودى المسيحى - Judeo - Christian heritage » وتشارك معظم القيادات الأصولية البروتستانتية روبرتسون منطقته حول التاريخ الأمريكى ، ويرون دور الثقافة البروتستانتية - الأصولية أساسياً في تأكيد ما سبق .

ويعتبرون الأسرة هي المجال الأساسى لانتشار أفكارهم باعتبارها قلب المنظومة الاجتماعية ذات العناصر المتعددة والتي تعتمد عليها هذه العناصر اعتماداً جوهرياً ، فالأسرة بحسب تعبير جيرى فولويل « الوحدة الأساسية لمجتمعنا » .

إن التصورات النظرية التى روج لها الأصوليون فى بداية القرن العشرين كان لابد لها من كيان تنظيمى يؤهلها للتجسيد العملى . لذا يعتبر عام ١٩٤٢ نقطة تحول مهمة فى تاريخ الأصولية البروتستانتية ؛ حيث تأسست « الرابطة الوطنية للإنجيليين - National Association of Evangelicals » وتعد هذه الرابطة الكيان التنظيمى الذى ضم تحت مظلته آلاف الكنائس الأصولية فى أمريكا ؛ لذا فإن كثيراً من الباحثين يعدون هذا الكيان « نقلة نوعية » فى تاريخ الأصولية البروتستانتية ، وذلك لسببين هما :

الأول : انتقال التحرك الأصولى البروتستانتى من الحركة إلى المؤسسة .

الثانى : الانتقال من الحركة ذات الطبيعة الدينية الأخلاقية إلى المؤسسة التى يمكن أن تلعب دوراً سياسياً .

وبالنسبة للسبب الثانى ، فلقد أتاح تأسيس الرابطة ، واكتساب الشكل المؤسسى للأصولية البروتستانتية « والتسييس » ، الأمور الثلاثة الآتية :

١ - القدرة على التأثير والضغط خصوصاً على السلطتين التشريعية والتنفيذية .

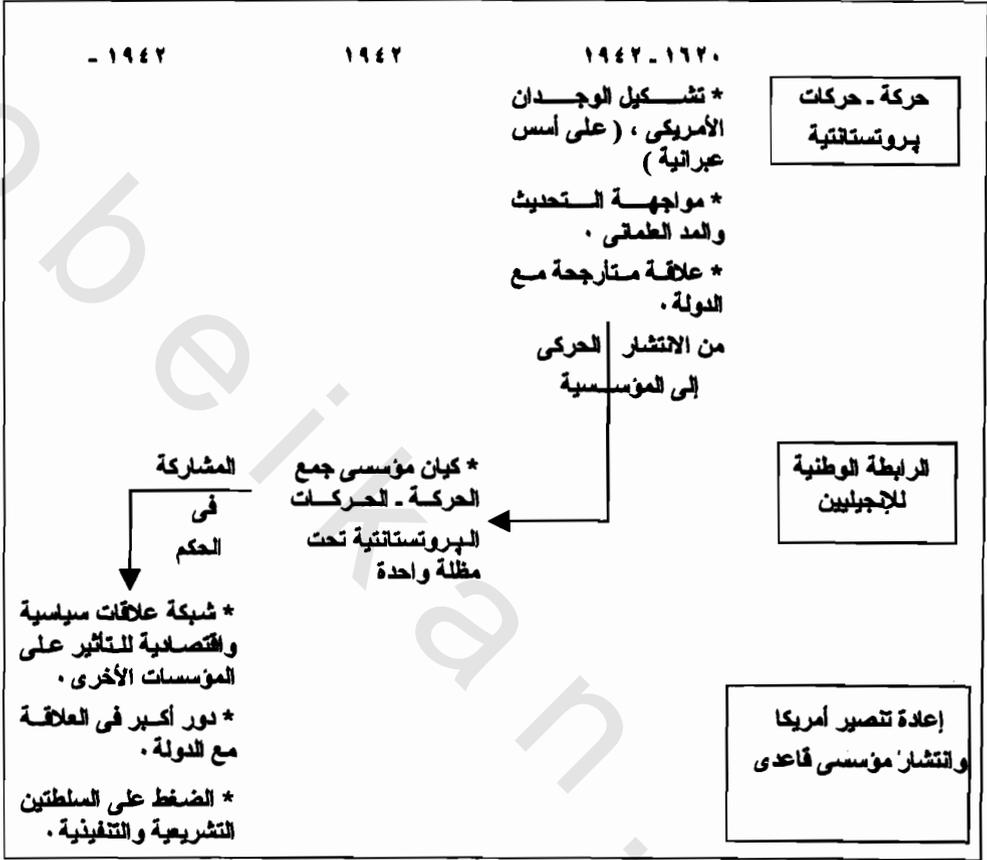
٢ - الانخراط فى شبكة من العلاقات مع الاقتصاديين والسياسيين المؤثرين ، ظهرت نتائجها جلية منذ السبعينيات .

٣ - إتاحة الفرصة لتكوين كيانات مماثلة لاحقاً .

ونتيجة لما سبق ومنذ عام ١٩٧٠ ، تقريباً ، استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتية أن تلعب دوراً مؤثراً فى الحياة السياسية الأمريكية ، واستعادة المفاهيم والتصورات النظرية النقية التى طرحتها الأصولية فى بدايات القرن ، وصبغها بأبعاد سياسية ، واستخدامها فى الواقع السياسى الأمريكى ، بل وامتدادها لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية .

وتسهيلاً للقارئ الكريم حاولنا أن نضع الرسم التوضيحي التالى لإيجاز مسيرة الأصولية البروتستانتية فى أمريكا ، وذلك كما هو مبين فى شكل رقم (١) .

مسيرة الأصولية البروتستانتية في أمريكا



شكل رقم (١)